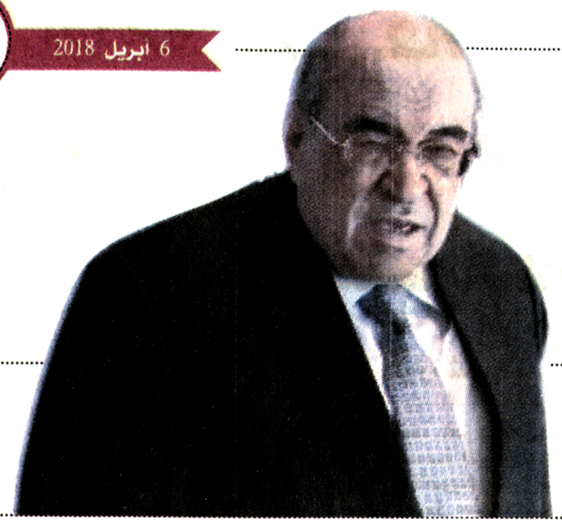

الدكتور مصطفى الفقى فى حوار مع «الأهرام»:

مصر تتقدم للأمام وأوضاعنا الاقتصادية والأمنية تتحسن

.. وعلينا مقارنة ماكنا عليه فى 2011 ومانعيشه الآن

حمل الدكتور مصطفى الفقى مدير مكتبة الإسكندرية رجال الأعمال مسئولية عدم عدالة توزيع أعباء الإصلاح الاقتصادى على كل الطبقات، فهم لم يشاركوا فى مكافحة الفقر، باعتبارهم المسئولين عن التشغيل وتخفيض معدل البطالة وجلب الاستثمارات وفتح البيوت. هذا الاتهام وجهه الفقى لمجتمع رجال الأعمال- فى حوار مع «الأهرام» - ورفض أن يصف مدى نجاح الإصلاح الاقتصادى فى مصر بمعايير ارتفاع الأسعار، لأن أمامنا معايير أهم تتركز فى المقارنة الإيجابية بين ما كنا عليه فى 2011 وننعم به فى 2018، فالمواطن لم يعد يقف فى طوابير الخبز والبنزين والبوتاجاز، وارتفع معدل الاستثمار والسياحة والودائع الدولارية وانتهت أزمة انقطاع التيار الكهربائى، ناهيك عن شعورنا بالأمن العام، وهو عامل مهم للغاية.

تحدث الفقى عن رأيه فى نظرية التآمر ولماذا تتعرض مصر لها؟ وكشف عن شروط إعادة التعاون بين المجتمع العربى مع إيران وتركيا، فالدولة الإيرانية تتبع لغة تتسم بالتكبر وتستخدم أجندة مفزعة تطالب بالمد الفارسى. وحمل تركيا فى الوقت نفسه مسئولية تصدع العلاقات مع مصر بسبب سياسات رجب طيب اردوغان المعادية للقاهرة، خاصة، وهى سياسات تتسم بـ «عدم النبل» مع مصر، خاصة بعد تسويق تركيا منتجات ومنتجعات سياحية ضدنا مستغلة فترة الفوضى التى سادت ما قبل 30 يونيو 2013، وكشف الفقى عن أن المنطق قد يشير إلى توجيه الاتهام لتركيا فى حادث تفجير الطائرة الروسية بشرم الشيخ.

وعن دور المكتبة التنويرى ومواجهة مشكلات المجتمع، قال الفقى إن المكتبة أبت الوقوف بعيدا وآفة الإرهاب الغاشم تسعى لزعزعة استقرار البلاد والنيل من عزيمة قيادتها بأن تكون مصر دولة عظمى، فبادرت لتنظيم أكثر من مؤتمر لمواجهة التطرف والإرهاب، إيمانا منها بضرورة المساهمة الجادة فى مواجهة هذه الهجمة الشرسة، فكان التفكير خارج الصندوق، على أن تبدأ المكتبة بأطفال المدارس وشباب الجامعات، ليقينه أن الثقافة والفن والأدب تصنع الحياة، فى حين أن الإرهاب هو صناعة الموت، فمن الطبيعى أن يشهر سلاح الثقافة فى مواجهة الموت. ورغم خبراته الطويلة فى العمل الدبلوماسى ونجاحه فى جميع المهام التى تولاها، فإن إدارة مؤسسة ثقافية ضخمة بحجم مكتبة الإسكندرية لم يكن عملا سهلا، وبالتأكيد واجه الفقى تحديات ومشكلات، وربما كان عدد العمالة الضخم هو أبرزها ، ليقرر منذ توليه منصبه قبل عام تقريبا وقف التعيينات تماما رافضا مبدأ الوساطات.. وتحدث مدير المكتبة عن أهم الشراكات مع المؤسسات الثقافية العالمية ومراكز الأبحاث، وهى رؤيته لمستقبل المكتبة التى سيعرضها على مجلس الأمناء الذى يعقد خلال أيام. وفيما يلى تفاصيل الحوار:

حوار- محمد أمين المصرى - محمد هندى - سناء عرفة

■ تخطت مصر المرحلة الصعبة أو مرحلة الخطر بالإصلاحات الاقتصادية وبرنامج التنمية الشاملة والنهضة العمرانية الكبيرة رغم المواجهة الصعبة للإرهاب.. فمتى يتحقق مطلب المصريين بالعدالة الاجتماعية؟

لا أستطيع تحديد موعد، لأن توزيع أعباء الإصلاح الاقتصادى لم يكن عادلا على كل الطبقات، فتحملت الطبقة المتوسطة العبء الأكبر، والدرجة الأفقر العبء التالى لها، بينما هناك من لم يشعر بذلك.. وما زال التساؤل يحيط برجال الأعمال ودورهم بالتنمية وحماسهم للأوضاع فى مصر، لأنه إذا أردت أن تكافح الفقر فعليك أن تستخدم رجال الأعمال وليس العكس، فهؤلاء مسئولون عن التشغيل وتخفيض معدل البطالة وجلب الاستثمارات وفتح البيوت.

■ الآن نشهد اقتصادا متطورا و طفرة عمرانية وحركة بناء ضخمة، فمتى نشعر بنتائج الإصلاح الاقتصادى؟

لن نشعر بالتحسن حاليا لأنه فى غمار عملية الإصلاح الاقتصادى ضاعت المعايير، ولكن لا يجب الحكم على هل الإصلاح إيجابى أم سلبى بارتفاع الأسعار؟، لأن هذا هو تقييم المواطن، ولكن هذا هو مجرد مؤشر ضمن مؤشرات كثيرة أخرى.. ويجب التنبيه الى حاجات كثيرة تحركت مثل معدل الاستثمار، مؤشرات حركة الدولار فى البنوك، ارتفاع معدلات السياحة، اختفاء طوابير الخبز وأنابيب البوتاجاز والبنزين وانتهاء أزمة انقطاع التيار الكهربائى، تطور الأمن الجنائى إذ أصبح أفضل عشرات المرات مقارنة بالماضى. مشكلتنا أننا أحيانا نكون غير قادرين على المقارنة بين ما كنا فيه وما أصبحنا عليه حاليا، وأقصد بين 2011 و2018.

■ ومتى يشعر المواطن المصرى بالأمان الاقتصادى؟

اعتقد فى معدل من 3 الى 5 سنوات، أى فى الولاية الرئاسية الثانية للرئيس السيسى.. وهنا ألوم بشدة من حدد فترة الولاية الرئاسية بأربع سنوات فقط، فالعرف فى العالم أن الخطة خمسية، ولا يستطيع أى رئيس أن ينفذ خطة خمسية واحدة. كيف؟. فأربع سنوات لا تلائمنا ولكن ربما تلائم الولايات المتحدة الأمريكية.

■ وسط تقارير عن صفقة القرن..هل تعتقد أن العرب قادرون على تحرير فلسطين دون الولايات المتحدة فى ظل ما يتردد أن العالم العربى لم يتحرر بعد من قيود الهيمنة الأمريكية والغربية؟..وهل تحرير العالم العربى من هذه الهيمنة أصبح أمرا صعبا فى وقتنا الراهن؟

يحاول الرئيس الأمريكى دونالد ترامب منذ أن تولى منصبه تصوير القضية الفلسطينية بأنها قابلة للحل بطريقة جديدة مختلفة عما مضى ويركز على المفهوم الاقتصادى باعتباره رجل أعمال..ولكننا لا نستطيع أن نقول إننا قاب قوسين أو أدنى من الحل. فتعبير صفقة القرن عبارة عن امكانية مبادلة اراض ومصالح اقتصادية ورفع مستوى حياة الفلسطينيين بما يؤهلهم لقبول تسوية، ولكن هذا الأمر غامض حتى الآن، فلا يوجد من يدلنا على مفردات صفقة القرن، وقد سمعنا تصريحات الرئيس الفلسطينى محمود عباس «أبو مازن» قبل فترة عندما لعن السفير الأمريكى فى إسرائيل وترامب، وسيبدأن باتهامه بمعاداة السامية يريان أنه ليس ندا صالحا لمواجهة تسوية سلمية نهائية، وهذا موقفهما دائما.. حيث التشكيك فى زعامات واستهلاك الوقت ومحاربة العناصر القومية والوطنية. ولكن فى النهاية دعنا نأمل بأن يكون هناك حل نهائى للقضية الفلسطينية.

ثمة نظرية اسمها «الغموض البناء» لهنرى كيسنجر، تدعو الى ترك الأمر لسنوات حتى تتضح وجهات نظر الأطراف، وهذا ما حدث الى حد كبير الآن، فلا نستطيع أن نقول إن موقف حركة حماس الآن هو نفسه منذ سنوات، حتى ميثاقها نفسه تغير، فالفجوة تضيق.

■ ولكن مندوبة الولايات المتحدة فى الأمم المتحدة نكرت أنه سواء وافق الفلسطينيون على الصفقة أم لا فهى ستتم لا محالة؟

هذه السفيرة غير موفقة فى كثير من تعبيراتها، ولكن اعتقد أن هذه هى اللغة السائدة فى واشنطن، ليس فقط تجاه أبو مازن أو الفلسطينيين، لكن فى جميع الأمور السياسية حيث يعتقدون أن كل شيء قابل للحل وله مقابل وثمن، بغض النظر عن عواطف الشعوب ولا مقدساتهم وأفكارهم. فترامب يريد فقط تلبية الطلب الإسرائيلى بنقل سفارة بلاده الى القدس فى ذكرى قيام إسرائيل 15 مايو المقبل، فهو يضع المزيد من الزيت على النار، فى استفزاز لا يخجلون منه.

■ هل هذه المواقف الأمريكية نابعة من كون ترامب جاء من خارج المجتمع السياسى الأمريكى؟

ترامب بلا «كتالوج»، فهو رجل صفقات واعمال تجارية ولا يهمه الأبعاد السياسية لأى قضية لأنه لا يفهمها أو يدركها. ولا نستغرب عنه هذه، حتى سياساته الداخلية تتسم بالعجائب، فعندما يحطم سياسة التأمين الصحى، ثم يفاجأ العالم كله برغبته فى مقابلة رئيس كوريا الشمالية بعد كل الذى ذكره، فصعب تتوقع ما هى المواقف المقبلة لترامب.

■ اعتاد العرب على التعايش مع أزماتهم المزمنة والجديدة..فهل تعتقد أن الأزمات العربية أصبحت القاعدة؟

نعم، لأن العرب اعتادوا على إدارة الصراعات وليس حلها، مثل القضية الفلسطينية، فهم يتحدثون ثم يأجلون. ومرة سئل الرئيس الراحل أنور السادات: «لماذا تتعجل تحرير سيناء؟»، فأجاب : «خشيت أن يتعود الشعب على احتلالها»، وهو تعبير دقيق لا يأتى سوى من رجل دولة مثل السادات.

■ وهل هذه الأزمات بسبب غياب الكلمة العربية الموحدة أم نتيجة قوة القوى الإقليمية الأخرى؟

أولا: حبيت المنطقة بموارد طبيعية جعلت الآخرين يطمعون فى خيراتها..ثانيا: لها موقع استراتيجى حاكم الى حد كبير جدا. ثالثا: نشوء دولة إسرائيل، وهو أمر منح المنطقة أهمية خاصة لدى الغرب خصوصا الولايات المتحدة الأمريكية، باعتبارها نموذجا غربيا وسط المنطقة يستطيع تغيير الظروف فيها. ثم إنها منطقة الديانات الإبراهيمية الثلاثة، ومنطقة التقاء آسيا وأوروبا وإفريقيا، ومصر تحديدا تحتل ناصية المنطقة وتقع على الركن الشمالى الشرقى للقارة الإفريقية ولها امتدادات فى آسيا وهى سيناء وتواجه أوروبا من الأمام.

■ ومتى يمكننا تجاوز واقعنا العربى ويتعلم العرب كيف يستفيدون من القوى الإقليمية مثل تركيا وإيران؟

هذه مشكلة حقيقية..لماذا؟ إيران رقم صعب دائما بالمنطقة، فهى ترحب ترحيبا شديدا بأى مبادرة مصرية حاليا لتحسين العلاقات معها، ونحن نعلم أن لكل دولة أجندة، ولكن أجندة إيران مفزعة نوعا ما، حيث تطالب بالمد الفارسى وتدعى بسقوط العاصمة العربية الرابعة فى أيدى الإيرانيين فى إشارة الى بغداد ودمشق وبيروت وصنعاء، ثم تتبع لغة تتسم بالتكبر الذى يستخدمه الأمريكيون. ولكن مع كل هذا فلدى الإيرانيين نظرة خاصة لمصر، فقد ذهبت لإيران والتقيت نائب رئيس الجمهورية وكنت مبعوثا فى مهمة، وأستطيع القول إن لديهم هيبة شديدة جدا تجاه مصر واحساسا بأن مصر تختلف عن العالم العربى، وأنقل ما ذكره الرئيس الإيرانى الراحل هاشمى رفسنجانى لمحمد حسنين هيكل بأن أغلى أمانيه أن يسير فى صحن المسجد الأزهر. وكان الإيرانيون سعداء جدا بعبارتى لهم « مصر شعب سنى المذهب شيعى الهوى»، فالتركيبة المصرية ليست معادية للحياة الشيعية اجتماعيا، ولكننا نحن أهل السنة، فالأزهر نفسه الذى تأسس ليكون مركزا شيعيا تحول ليكون أكبر مراكز السنة فى العالم. ولهذا أؤكد، اننا نستطيع اقامة علاقة مع إيران من الغد، ولكن من الصعب التفكير حاليا فى استعادة العلاقات مع إيران، فهذا أسوأ وقت لعودة العلاقات فى ظل الأوضاع القائمة بينهم وبين الخليج والولايات المتحدة وعلينا أن ننتظر مع الوقت على أن يتم رأب الصدع بينهم وبين الجيران المباشرين وهم أشقاؤنا بالخليج.

ولكن المشكلة الحقيقية هى مع تركيا، وتحديدا رجب طيب أردوغان وليست مع الدولة التركية على الاطلاق، علما بأن علاقاتنا الاقتصادية مع تركيا متنامية وتمضى فى طريق جيد.

■ ولكن هذه العلاقات الاقتصادية تراجعت؟

هذا التراجع سببه أنهم اغتنموا فرصة الأوضاع فى مصر ليسحبوا السياحة والاستثمارات، ولم يكونوا نبلاء بما يجب أن يحدث، ولكنهم فعلوا العكس وقاموا بتسويق منتجات ومنتجعات على حساب ما يحدث فى مصر.

■ هل ممكن توجيه الاتهام إلى تركيا بتفجير الطائرة الروسية فى شرم الشيخ، مما تسبب فى أزمة كبيرة بين مصر وروسيا وتراجع الدخل السياحى لمصر؟

المنطق قد يشير الى ذلك.

■ أوشك الدكتور مصطفى الفقى على تولى منصب الأمين العام للجامعة العربية..ثم انتهى اجتماع وزراء الخارجية العرب باختيار وزير خارجية مصر آنذاك الدكتور نبيل العربى..فهل تعتقد أن توليكم رئاسة مكتبة الإسكندرية ترضية لكم؟

لا، لا أحد يرضى أحدا، وما تم حينذاك أننى كنت مرشح مصر مقابل ترشيح قطر لوزير خارجيتها عبد الرحمن العطية، ولم تكن الدولة فى أقوى أحوالها وغير قادرة على التمسك بمواقف معينة، هذا مقابل تلويح قطر بأنها ستقدم مليارات لاختيار مرشحها، فاضطرت مصر للتنازل عن مرشحها مقابل تخلى قطر عن مرشحها أيضا لتقدم مرشحا بديلا وكان نبيل العربى نفسه، علما بأن العربى كان يعلم أن هناك ترتيبات لذلك. هذا بالإضافة الى معوقات أخرى طرفها السودان حيث اعترض بشدة على تصريحاتى المتكررة والمستمرة فى الماضى والحاضر والمستقبل بشأن سياساته.

■ بمناسبة السودان..مصر كان موافقة تماما على ضم جنوب السودان للجامعة العربية فى حين اعترض السودان..فهل تؤيد موقف مصر؟

طبعا أؤيد الموقف المصرى بضم جنوب السودان، فقد انضم للجامعة جزر القمر وجيبوتى وموريتانيا، ولهذا أرى ضرورة ضم جنوب السودان وتشاد للجامعة، فدولة تشاد على سبيل المثال أعلنت اللغة العربية لغة رسمية بجانب الفرنسية.

■ هل نجح أحمد أبو الغيط فى منصبه كامين عام للجامعة العربية؟.. وهل استطاع إدارة ملفاتها وأزماتها؟

لقد حاول حقا اقتحام بعض المجالات، ولكن دعنا نقول إن للجامعة قصة صعبة للغاية، فهى ليست إرادة شخص أو منظمة ولكن إرادة 22 دولة، فسؤالى : «هل العرب جادون فى دعم الجامعة العربية».. أشك فى ذلك.

■ ولكن كان لأبو الغيط طموحات وخطط تفصيلية للتغلب على كل معوقات الجامعة قبل توليه المنصب كشف عنها فى حوار استلامه مهام منصبه؟

هو يحاول، وزار مناطق ملتهبة كثيرة، والمشكلة أكبر بكثير مما نتصور.

■ تردد كثيرا أيام الرئيس الأسبق حسنى مبارك أن وزارة الخارجية لم تكن تدير الملفات الدبلوماسية ..فما هو الدور المنوط بالدبلوماسية المصرية لإدارة ملفاتها العربية والإفريقية والعالمية؟..وما هو حجم التداخل فى الأدوار؟

تلعب أجهزة المخابرات فى العالم دورا فى صنع السياسة الخارجية، لأنها هى المطبخ فى حين أن وزارة الخارجية هى «السفرة»، وثمة صفقات تدار ولا تظهر نتائجها، وهذا ليس فى مصر وحدها ولكن فى العالم. فمثلا دور الخارجية الأمريكية فى عهد دونالد ترامب فى أضعف مراحله، لأنه منح أجهزة أخرى هناك اليد الطولى فى إدارة الملفات الدولية والخارجية المصرية قبل 1952 كانت هى صانعة القرار، ولكن هذا الدور تراجع مع دخول عناصر جديدة على مسرح الحياة السياسية، ولم يعد نفس الاهتمام بوزارة الخارجية قائما.

■ وماذا عن ملف مياه النيل وسد النهضة؟.. وهل نجحت الإدارات التى تولت هذا الملف فى إنجاز المهمة؟

لا أقيم المسألة بالنجاح أو بالفشل، وإن كنت أقول لو كان هناك تعاون بين الجهازين- المخابرات والخارجية- لكانت هناك نتائج ايجابية.

■ وهل تعتقد أنه لا يوجد هذا التعاون؟

التعاون كان موجودا أيام اللواء عمر سليمان والوزير أحمد أبو الغيط، فقد سافرا فى مهام كثيرة معا وشاركت بنفسى فى بعضها. ولكن دعنى أقول إنه من الصعب رسم خطوط فاصلة بين جهاز المخابرات والعمل الدبلوماسى.

■ قلتم من قبل إن ثمة نظرية بريطانية من القرن الثامن عشر تطالب بضرورة تطويق مصر حتى لا تحلق عاليا وتحقق التنمية الحقيقية وحتى لا تمد يد العون الى الدول المظلومة..ولكن فى نفس الوقت لا نسمح لها بالانهيار..هل تعتقد أن هذه النظرية لا تزال قائمة؟

نعم، فالنظرية تعنى أنه لا يجب أن تعوم فوق المياه أو تطير عاليا ولكن فى نفس الوقت لا تغرق. فهم يريدون مصر مجرد دولة عائمة.

■ وهل نعتبر هذه النظرية من ضمن نظريات المؤامرة المحيطة بمصر..أى تكبيلها بقيود اقتصادية ودولية وإقليمية؟

هذا قدر مصر دائما، فهى مستهدفة جدا على مر التاريخ.

■ ومتى نتجاوز هذا القدر؟

عندما تتغير المنطقة بالكامل وتصل الأطراف الأخرى رسالة إن هذه المنطقة صاحبة قرار، ولكن طالما استمرت المنطقة مثل الجثة الهامدة فلن يعمل لها أحد أى حساب.

■ وهل سيستمر هذا الحال طويلا؟

هذا يتوقف على التطورات الدولية.

■ وفيما يتعلق بالمكتبة..ما أبرز التحديات فى إدارة أكبر المؤسسات الثقافية فى مصر والوطن العربى؟

أكبر مشكلة تواجه المكتبة فى وقتنا الراهن هى عدد العاملين بها إذ يصل الى 2400 موظف، ورأيى أنه من الممكن أن تدار بـ500 موظف بسهولة؟. لذلك قررنا وقف التعيينات وأرفض تماما مبدأ الوساطات، ناهيك عن أن المكتبة لم يكن بمقدورها اللجوء الى خيار المعاش المبكر لأن متوسط أعمار معظم الموظفين يتراوح بين الثلاثينيات .. هذا بالاضافة الى أن المكتبة وبعد مرور 16 عاما على إنشائها، فتحت بابا لصيانة منشآتها مثل نظام التكييف والبنية الأساسية التى تآكلت وفى حاجة لصيانتها، وهذا يتطلب ميزانية خاصة.

■ وما أبرز الشراكات التى تمت بين المكتبة والمؤسسات الدولية الكبرى منذ توليكم إدارتها؟

لنا دائما علاقات دولية باليونسكو ومراكز الأبحاث العلمية بالخارج والاتحاد الدولى للمكتبات، ونحن رؤساء المكتبات الرقمية فى العالم بجانب شراكة مع مكتبة الكونجرس وأكثر من 30 مركزا ثقافيا عربيا، وتمت الموافقة على تأسيس مركز للدراسات الإستراتيجية ومركز زاهى حواس للمصريات. وقد عرضت محافظة القاهرة مؤخرا على المكتبة استغلال قصر الأميرة خديجة بحلوان الذى سيتحول الى متحف للأديان، ليكون رسالة تسامح للعالم عنوانها إن مصر تحتفى بالتراث اليهودى والمسيحى والإسلامى، هذا بخلاف التعاون القائم بين المكتبة ووزارات التخطيط والاستثمار والمالية. وبالإضافة الى تلك الشراكات المهمة، تسهم المكتبة بدور بارز فى ترميم المخطوطات، لما تتمتع به من إمكانات سواء على مستوى المكون البشرى أو التقنيات الحديثة لجعلها مؤسسة بارزة فى هذا المجال. ولدينا معمل للترميم وهو من أجمل المكونات الذى أعجب بها البابا تواضروس فى زيارته للمكتبة، ورممنا أيضا كل وثائق قناة السويس بالاتفاق مع الفريق مميش، كما رممت المكتبة وثائق تاريخ بطريركية الروم الارثوذوكس، ناهيك عن الاهتمام بالتراث والبحث العلمى والدراسات الاكاديمية وقضايا الفن والأدب، فالمكتبة مؤسسة جامعة شاملة، ولها ممتلكات مثل قصر انطونياديس وسنقوم بتطويره، ولدينا منحة قيمتها 50 مليون قدمها الشيخ السلطان القاسمى من الشارقة لبناء مخازن متخصصة للكتب بمواصفات خاصة للحفظ.

■ هل سحبت المكتبة البساط من وزارة الثقافة؟..وما هى البرامج الفنية التى يلعبها مركز الفنون؟..وهل تختلف عن مثيلاتها بدار الأوبرا؟

المكتبة لم تسحب البساط من وزارة الثقافة، ويختلف دور مركز الفنون عن دار الأوبرا، فالأخيرة ساحة دولية ذات طابع خاص، لكن المكتبة هيئة عالمية ولكنها على أرض مصرية وعليها واجب تجاه مصر، كما أنها مؤسسة ليس هدفها الربح. أما مركز الفنون التابع للمكتبة فيستقبل فرقا صغيرة مبتدئة دون مقابل مادى لتقديم عروض مسرحية وحفلات غنائية، وتتم الموافقة على هذه الفرق من خلال العرض على لجان متخصصة.

■ إجراءات الإصلاح الاقتصادى ناجحة.. ولكن رجال الأعمال لم يشاركوا فى مكافحة الفقر وتخفيض البطالة

الدكتور الفقى إلى اليسار يتحدث إلى محررى الأهرام

■ التعرض للمؤامرات قدر مصر.. والمنطق ربما يشير لمصلحة تركيا فى تفجير الطائرة الروسية بشرم الشيخ

■ الثقافة تصنع الحياة وهى من أهم أسلحة مواجهة التطرف والإرهاب